

الحركة الوطنية ودورها في مواجهة الأطماع الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب

(1882 – 1911م)

سالم فرج عبد القادر *

الملخص

شهدت ولاية طرابلس الغرب في نهاية الحكم العثماني يقظة وطنية وتحركاً شعبياً لمخاطر التغلغل الأوروبي في الولاية وعمت هذه اليقظة جميع الطبقات الشعبية المختلفة سواء في المدن بين المثقفين أو العمال أو بين رجال القبائل ورؤساء الطرق الصوفية في الدواخل .

إن البحث الذي يحمل عنوان: (الحركة الوطنية ودورها في مواجهة الأطماع الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب 1882 – 1911م) هو محاولة لإلقاء الضوء على صور ومظاهر هذه الحركة الوطنية ، والتي تمثلت أول مظاهرها في الجمعية السرية التي تأسست في عام 1885م من بعض الشباب في مدينة طرابلس الغرب ، وكانت أهم أهداف وغايات هذه الجمعية توعية أبناء الشعب العربي الليبي إلى المخاطر الاستعمارية المحدقة بالولاية وأخذ العبر بما حل بجيرانهم وأشقاؤهم العرب في كل من تونس ومصر والجزائر .

أما ثاني هذه المظاهر فتتمثل في قيام بعض الولاة العثمانيين من أمثال الوالي رجب باشا ، والوالي إبراهيم ادهم باشا ومحاولتهم الوقوف في وجهه الأطماع الأوروبية والإيطالية خاصة. أما ثالث هذه المظاهر، فيكمن في دور الصحافة الوطنية، التي قامت بدور فعال، حيث أخذت في ترجمة المقالات التي تنشر على صفحات الصحف الإيطالية والأوروبية، وإعادة نشرها باللغة العربية، لكي يطلع الأهالي على ما يدبر في الخفاء ضد الولاية.

وتتمثل رابع هذه المظاهر في دور مندوبي ولاية طرابلس الغرب في مجلس المبعوثان في العاصمة العثمانية اسطنبول ، والذين حاولوا من خلال مواقعهم شرح وتوضيح المخاطر التي تحدق بالولاية وإطلاع الحكومة على تقصير بعض الولاة وتساهلهم تجاه الأطماع الإيطالية .

المقدمة

المحمودي بالجبل الغربي، وثورة غدامس ، وثورة سيف النصر بسرت وفزان وثورة أولاد علي والعبيدات والجوازي في برقة ، وحركة سليمان الباروني، وثورة الشاطئ وغات، وتذمر أهالي مدينة طرابلس في عهد أحمد راسم . وقد توجت هذه الثورات الدموية بحركات صوفية محاولة أن تمسك العصا من نصفها كمحاولة لحسم الصراع بين فارضي الضرائب والمكوس، ودافعها من مختلف طبقات الشعب (2) .

إن أنشطة التغلغل السلمية التي اتبعتها الأقليات الأجنبية كالإيطالية والمالطية وغيرها من أعمال التنافس التجاري بين أصحاب رؤوس الأموال الفرنسيين والإنجليز والمدفوعين بحمى الصراع السياسي وبين قناصل تلك الدول، أثار حماساً وغيره العديد من المفكرين الطرابلسيين الغيورين على بلادهم من تكالب هذه القوى عليها . وكما كان الاحتلال الفرنسي لتونس 1881م حافزاً كبيراً للتحرك الشعبي في طرابلس الغرب، فقد شعر الأهالي بالخطر الأوروبي على مقربة منهم، ورأوا ما عاناه أشقاؤهم العرب في تونس ،

لقد شهدت ولاية طرابلس الغرب في نهاية الحكم العثماني يقظة وطنية وتحركاً شعبياً ، فاليقظة الوطنية لمخاطر التغلغل الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب وبرقة، عرفت طريقها بين الطبقات الشعبية المختلفة، سواء في المدن بين المثقفين أو العمال أو بين رجال القبائل ورؤساء الطرق الصوفية في الدواخل . ويمكن أن نرصد بواكير تطور ظاهرة الوعي الوطني لمخاطر التغلغل الإمبريالي منذ عهد يوسف باشا القرمانلي، كنتيجة لتردي سياسته الاقتصادية داخلياً وعلاقاته مع الدول الأوروبية خارجياً . فنتائج هذه السياسة انعكست في العديد من الانتفاضات الشعبية الراضة لسياسة الظلم الذي اشتدت وطأته على المواطنين من ممارسات أفراد الأسرة القرمانلية وعمالهم في الأقاليم (1).

ولم تحل المعضلة الاقتصادية والسياسية بين الليبيين والعثمانيين في العهد العثماني الثاني بعد سقوط حكم الأسرة القرمانلية فاستمرت الانتفاضات الوطنية الراضة للفساد الاقتصادي والسياسي في العهدين القرمانلي والعثماني الثاني . ومن أكثر الانتفاضات شهرة، ثورة أهل الساحل، والمنشية، وثورة غومة

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر جامعة سبها

ما ظهرت في الولاية استجابة واضحة للتحدي الغربي المتزايد (3). وسوف نحاول من خلال هذا البحث تتبع بدايات الحركة الوطنية وتطورها والمراحل التي مرت بها وهي على النحو التالي :

أولاً: الجمعية الخيرية السرية 1885م وموقفها من الأطماع الإيطالية

عشرين (20) فائدة أو مادة قانونية . فضلاً عن ذلك فإن للجمعية اهتماماً بالجناح العسكري، من أجل إثارة الحماس والغيرة الوطنية بين أفراد القوات المسلحة العثمانية في طرابلس ، كما كان هناك اهتمام وتركيز شديدين على ما يمكن أن نسماه الجناح المدني ، ويهتم بتجاوز الأخطاء السابقة من الثورات التي قامت ضد الدولة العثمانية من مختلف رجال المدن والقبائل والطرق الصوفية . فقد حاولت الجمعية أن تضم الجميع في بوتقة واحدة ، من أجل إثارة الوعي، وتوحيد الهدف ضد التسلل الأوروبي في البلاد . (5)

وقد كان نظام الجمعية محدوداً في صورة تعليمات محررة ضمن سبع مواد، وهي كالتالي (6) :

أولاً : رسم الدخول وقيمة الاشتراك الشهري مائة قرش شهرياً .

ثانياً : لا يمكن صرف أي مبالغ مالية من صندوق الجمعية، وكذلك لا يمكن قبول أحد في الجمعية إلا بعد موافقة أغلب أعضاء الجمعية .

ثالثاً : الاجتماع في الجمعية يكون في الليل والنهار، في الليل فلقراءة بعض الكتب المفيدة لاسيما كتب الجغرافيا والتاريخ ، وفي النهار فلمطالعة الجرائد .

رابعاً : لا يجوز لأحد في الجمعية أن يتكلم في أشياء خصوصية .

خامساً : يعين للجمعية بالقرعة أو بالانتخاب رئيس وكتائب وأمين الصندوق ، ومدة كل واحد منهم ثلاثة أشهر، ثم يجدد الانتخاب .

سادساً : على القهوجي أن يمنع دخول من لا ينتسب للجمعية، وللأعضاء أن يدخلوا من أرادوا مدة ثلاثة أيام وبعدها يجب استئذانهم من رئيس الجمعية .

سابعاً : إذا اتفق أعضاء الجمعية على زيادة مادة من هذه المواد فعلى الرئيس أن يكتب المادة ويعرضها على كافة الأعضاء للتصديق عليها بكتابة أسمائهم تحتها .

أما أهداف الجمعية ولوائحها الداخلية للجناحين المدني والعسكري ، فقد نصت على التالي: " أهمية العضو المنضم إلى الجمعية ، والاحتفال به عند الانضمام إليها . والسؤال عنه إذا غاب أكثر من

فتجاوبوا معهم في محتهم ، وصدرت عنهم ردود فعل غاضبة للتحدي الغربي . ولم يلبث أن جاء احتلال بريطانيا لمصر عام 1882م حافزاً جديداً للتحرك الشعبي في طرابلس . فقد أصبح الخطر الأوروبي محدقاً بها من الشرق والغرب وسرعان

تأسست الجمعية السرية في مطلع ولاية (أحمد راسم 1885 - 1896م)، وقام بتأسيسها ثلاثة من الشباب ، وهم : (حمزة ظافر المدني ، وأحمد حسين النائب ، وإبراهيم عبد القادر سراج الدين) .

فقد كان (أحمد حسين النائب) آنذاك رئيس بلدية مدينة طرابلس ، ومن أبرز مثقفيها ، وقد ولد عام 1840م في بيت كريم بطرابلس ، ودرس فيها ، وتدرج في الوظائف حتى أصبح رئيساً للبلدية .

أما الشيخ (حمزة ظافر المدني) فكان من رجال العلم المعروفين في طرابلس، ومن أسرة المدني المشهورة بالعلم ، وكان والده ظافر المدني من المقربين للسلطان عبد الحميد في اسطنبول .

وكان (إبراهيم سراج الدين) حديث العهد بطرابلس، فهو من أهالي المدينة المنورة، ولد بها، وكانت حرفته طلب العلم . وقد وصل إبراهيم سراج الدين إلى مدينة طرابلس الغرب في مستهل ولاية (أحمد راسم) في أوائل عام 1883م أو في نهاية عام 1882م (4)

واكتوى ثلاثتهم بما حل بالأقطار الإسلامية المجاورة لإقليم طرابلس وبرقة ، وما ارتكبه الاستعمار في مصر والجزائر وتونس ، وأدركوا أنه لا محالة من أن إقليم طرابلس الغرب آيل للسقوط بفعل العدوان الامبريالي الجديد . ولذا فإن تشكيلهم للجمعية السرية كان محاولة منهم ليث السوعي بين مختلف طبقات الشعب بدون إثارة حفيظة سلطات الحكم العثماني . وقد بدأت عضوية هذه الجمعية بعشرة من الشباب الطرابلسي، إذ استأجروا محلاً تعود ملكيته لشخص يدعى (مصطفى أغا الأرضروملي) الكائن بشوارع الميزران بطرابلس ، واتخذوا من هذا المحل مكاناً لتدارس أحوال بلادهم ومراقبة خطر التغلغل الأجنبي فيها ، ومن خلال لقاءاتهم المتكررة تبلورت لديهم لائحة تنظيمية استهدفت تنظيم العلاقات بين الأفراد المنضويين تحت لواء هذه الجمعية ، وقد عرفت هذه اللائحة باسم (فوائد ونصائح خيرية) ، ويكفي الإطلاع على مواد هذه اللائحة لتحديد أسلوب وأهداف وطموحات أفراد هذه الجمعية التي يرمون إلى تحقيقها من هذا التآلف ، وتشمل نصائح اللائحة التنظيمية حوالي

قيامه بهذه الفوائد والنصائح انتصار لله الذي تعطلت أحكامه واستثقل كلامه . وكذلك يجب عليه أن يعتقد أن من لم يقيم بها يبوء بخزي الدنيا وعذاب الآخرة السرمدي . العناية بالتنقيف الشعبي ومتابعة ما ينشر في الصحف الأجنبية والمحلية . أهمية إظهار الولاء والطاعة للسلطان العثماني تحاشياً للاصطدام بقوات أمن السلطات العثمانية" (9)

وقد كان (إبراهيم سراج الدين) الشخص الحركي في إخراج هذه الجمعية إلى حيز الوجود . فمن أجل إثارة الحماس الشعبي، كان يعقد المقارنات بين ما يقوم به الأهالي وبين أنشطة جمعيات الأقليات الأجنبية وخاصة الدينية منها في مدينة طرابلس الغرب . وكان سراج الدين مقتنعاً في كل مناظراته، فاتبعه الكثير من الشباب الطرابلسي، وانضموا إلى الجمعية . وقد كان من بينهم رئيس بلدية طرابلس نفسه ، الذي حمل مقترحات وأفكار هذه الجماعة من الشباب إلى مكتب الوالي أحمد راسم ، وحاول بحكم منصبه أن يقنع الوالي بها . وكان (إبراهيم سراج الدين) في كل مطالبه يعقد المقارنات بما حققه النصارى واليهود في بلاد المسلمين من جمعيات ومكتبات ومطابع ونشر للكتب والمجلات والجرائد التي كانت توجه الرأي العام ، وأنه لا سبيل للمسلمين إلا بالرد على أنشطة هذه الأقليات بنفس الأسلوب (10)

وكان رواد الجمعية من بين مثقفي المدينة البارزين حينئذ ، ويبدو أن سلسلة المحاضرات كانت تلقى على تجمعات هؤلاء الشباب في علوم مختلفة ، وخاصة في علم الجغرافيا وكيفية التوسع الاستعماري الأوروبي في العالم الإسلامي .

كما كان رواد الجمعية يأتون في كل ليلة لكتابة الأمور الهامة ، وكان إبراهيم سراج الدين يوصيهم بالوعي بمخاطر الاحتلال الصليبي، وألا يصبحوا كتونس ومصر ، اللتين وقعتا تحت الاحتلال الأجنبي . وكان (إبراهيم سراج الدين) واعياً لمخاطر السياسة العالمية التي تحاك حول مستقبل البلاد ، وحاول تنبيه الأهالي لذلك الخطر والإيعاز من باب خفي بأهمية اقتناء السلاح لدرء الخطر الإيطالي الذي كان واقعاً لا محالة (11)

وبعد أن وجهت السلطات العثمانية في الولاية تهمة الخيانة لأعضاء الجمعية وعلى رأسهم (إبراهيم سراج الدين) وذلك لإثارتهم لحفيظة الأهالي وتحريضهم بالقيام ضد الحكومة وخلع الطاعة، أشار (إبراهيم سراج الدين) في إطار إجابته على هذه التهمة إلى أهمية موقع ليبيا

يوميين، وعيادته إذا مرض، والأخذ بيده إذا تعرض لأي ملة . وعلى العضو الحضور كل ليلة إلى مقر الجمعية ومعه خبر جديد سواء أكان داخلياً من الولاية أم خارجياً كان قرأ عنه أو سمعه لكي يلقيه على مسامح الأعضاء الآخرين ، وفي ذلك بطبيعة الحال تحريض على تتبع أخبار الأوروبيين المتغلغلين ونشاطات القناصل والتجار الأوروبيين والمتعاونين معهم من الوطنيين ، ومواقف الوالي ورجاله توجيه الدعوة إلى الشخصيات البارزة لاستقطابها كزعماء الطوائف الصوفية والشخصيات البارزة . وفي كل لقاء يلقى حديث عن تاريخ ومحاسن هذه الطائفة وفضائل رجالها . والدعوة إلى ربط طبقات الشعب كافة بالجمعية وخاصة الرجال ذوي النفوذ لتحصل على مساعداتهم لها وسعيهم في إنجاح ما تصبو إليه، من تعويق التغلغل الأجنبي ، الدعوة إلى الإكثار من الجمعيات نظراً لما لذلك من فائدة في كثرة انتشارها وإمكانية التآلف فيما بينها في إطار الحوار المفتوح والرامي إلى المصلحة الوطنية العامة (7). اعتبار القبائل البدوية بمنزلة جمعيات ضلت عن الطريق المقصود، ولذلك يجب إرشادها وإدخال بعض الإصلاحات والتعديلات في قانون ارتباطها بالحكم . مراقبة نشاط الأقليات وتوجيهه لصالح البلاد . إصلاح أوضاع الولاية بتعميم التعليم والارتقاء بمستوى قبائل البادية وسكان الدواخل عموماً . والدعوة إلى احترام الأجانب وإكرامهم، وخاصة أولئك الذين تواكب مصالحهم مصلحة الوطن ، بحيث تتمكن الجمعية من مد جسور الصداقة مع أوروبا . الدفع برؤوس الأموال الأجنبية وخاصة أموال اليهود والنصارى إلى مصلحة البلاد ، بمعنى أنه يجب ألا يخرج توظيف أموالهم عن المشاريع النافعة للبلاد ، أما ما خالف ذلك فيعد من الأموال المخضلة للنظام الاقتصادي والسياسي في البلاد (8) . إصلاح المكاتب الأهلية وإدخال كافة أطفال الأهالي فيها بالطريقة الجبرية ، وإنشاء مدارس عالية كالمدراس الطبية والعسكرية والهندسية والإدارية . سرية العمل والقانون الداخلي للجمعية ، إذ يتم ذلك بقسم اليمين من كل عضو على حتمية كتمان سرية العمل . على كل عضو إبداء الغيرة على الوطن والدين والجنس واللغة وعلى نساء المسلمين وأطفالهم وأموالهم وشرفهم الذي عيث به الزمان ، وذلك بإظهار الحمية والغيرة بالقول والفعل من أجل التسابق نحو عمل الخير . أهمية إعلاء شأن هذه القيم كمرحلة مهمة من مراحل الإحياء والتيقظ الوطني ، ويجب على كل عضو من أعضاء الجمعية أن يعتقد أن

أن أعظم دليل على حب الوطنيين لأوطانهم وحكامهم رغبتهم في الدخول في العسكرية" (13). وبرغم صفاء نية هذه الجمعية وسمو أهدافها الوطنية وسعة إدراكها لمخاطر التغلغل الاستعماري في البلاد فإننا نرى السلطات العثمانية تقع في حبالئ القنصل الأوروبيين الذين لفت نظرهم نشاط هذه الجمعية المعادي لمخططاتهم التغلغلية فوشوا بها لدى سلطات الوالي الذي أمر بدوره بالقبض على أعضاء هذه الجمعية ، ومن ثم التحقيق معهم . وكانت نتائج هذا التحقيق نفي (حمزة ظافر المدني) ، و(أحمد النائب) ، وسجن (إبراهيم سراج الدين) فترة طويلة ، كما شردت السلطات العثمانية رواد الجمعية وأعضائها ظملاً وبهتاناً . وقد أشار (إبراهيم سراج الدين) إلى وشاية القنصل بقوله : "إن بعض الأجانب الذين يكرهون تقدم الوطن تحت الراية العثمانية المنصورة ، اجتمعوا في إحدى الليالي سرّاً وحضر اجتماعهم رجل كبير استمالوه وتذكروا في أمر الجمعية واجتماع طلبة العلم فيها وأنهم بيتوا حيلة للتوصل إلى أبطالها" (14)

وقد كان لحركة (إبراهيم سراج الدين) ورفاقه أبعاد وردود فعل بين مختلف طبقات الشعب ، إذ أوقدت شعاراتها وممارساتها الحماس الوطني وأيقظت الشعور بخطر الغزو الأوروبي وتفهم مخاطر سياسة التغلغل الأجنبي في الولاية .

ثانياً : دور بعض الولاة العثمانيين في مواجهة الأطماع الإيطالية في الولاية

للمجيء بأعداد غفيرة والاستقرار في المنطقة . ولكن سرعان ما توقف برنامج عمل الوالي فبعد أن لقي تشجيعاً من السلطان العثماني قام هذا الأخير ببناءً على نصائح بعض ممثلي الدول الأوروبية في ليبيا بوقف هذه التجربة واستدعي الوالي (علي رضا باشا) إلى اسطنبول سنة 1870م (16) ومع مجيء المشير (رجب باشا) إلى طرابلس سنة 1900م كقائد للجيش بدأت حقبة جديدة من التحديث الاقتصادي والتطور الاجتماعي والإصلاحات الإدارية. وكان (رجب باشا) مدعوماً في أعماله ، بأنصار (جمعية تركيا الفتاة) وقد اعترف الناطقون باسم الرأي العام الأوروبي باستثناء الإيطاليين بأنه كان (رجل الدولة المتفتح الذكي والشجاع) (17).

وقد كانت أشهر أعمال الوالي (رجب باشا) 1904 - 1909م بعد توليه منصب الوالي خلفاً للوالي (حسن حسني 1902-1904م) على كرسي الولاية في طرابلس الغرب هو وقوفه بكل حزم

الجغرافي ، وهاجم الدولة العثمانية وإدارتها السيئة للولاية ذاكراً بعض الأمور: كانحطاط المعارف وارتباك الحياة الاقتصادية، وخاصة تجارة القوافل مع السودان وتجارة (الحلفاء) التي هيمن عليها رأس المال الأجنبي، واختلال الأمن في دروب القوافل المارة بالصحراء، كما أدان (إبراهيم سراج الدين) موقف السلطات العثمانية في طرابلس، وذلك بردها للمهاجرين التونسيين الفارين من ضنك العدوان الفرنسي، وقال في هذا الخصوص: "وإني لا أعلم ماذا أراد حكام طرابلس أن يكتب أهل الديانة والمؤرخون في كتبهم وماذا يقول أهل السياسة فهل أرادوا أن يقول أهل الديانة: إن الله فرض الهجرة على التونسيين وإن حكام طرابلس منعوهم وأرجعوهم أم أرادوا أن يقول المؤرخون: إن التونسيين استغاثوا بالدولة العليا في سنة كذا وأنها أرجعتهم بعد أن ساءت حالتهم وأنها لم تسع أدنى سعي في إراحتهم" (12)

كما أدان (إبراهيم سراج الدين) الحكومة العثمانية بإهمالها لتدريب الأهالي ، فقال: " ومن العجب أن حكام طرابلس لم يسعوا في إنشاء جيش وطني في ولاية طرابلس بعدما حصل لجيرانهم ما حصل ، فهذا الأمر عند أرباب السياسة لا بد أن يكون لأحد أمرين ، إما لعدم حسن سياسة الحكام العثمانيين مع الأهالي حتى كرهوا أن يستعدوا للدفاع عن وطنهم ، وإما لسماع البعض منهم لدسائس الأجانب الذين يكرهون ذلك ، ولا يخفى

إن أول محاولات إحياء ولاية طرابلس الغرب من قبل الولاة العثمانيين كانت بفعل مبادرة الوالي (علي رضا باشا 1867-1870م) ، منذ سنة 1867م وقد أبدى هذا الوالي اهتماماً خاصاً ببرقة . وقد أعد برنامجاً لتطوير كل الولاية وعرض هذا البرنامج على الحكومة العثمانية للموافقة عليه وبعد الإطلاع قبلت الحكومة برنامج الوالي (علي رضا باشا) وأصدرت سنة 1869م مرسوماً سلطاني واتخذت مجموعة إجراءات في هذا الشأن (15)

وشهد هذا البرنامج بداية تنفيذ فأصبحت مدينة طبرق مركز مقاطعة وأصبحت مرفأ حراً، وقام الوالي بسياسة أعمار في منطقة برقة وذلك بتطوير المراكز العمرانية الموجودة وإنشاء تجمعات جديدة. وفي هذا الاتجاه طور الوالي مدينة بنغازي حيث شجع استقرار عائلات من طرابلس الغرب فيها، وأنشأ مرفأ مرسى سوسة، وشجع استقرار الجنود الأتراك المتزوجين في أرياف برقة بأن وزع عليهم الأراضي ، وشجع أيضاً سكان مالطا

كما أشار الوالي (رجب باشا) في تقريره إلى أن عمليات الشراء التي يقوم بها (بنك دي روما Banco Di Roma) وخاصة شراء عقارات الأجانب وبأثمان مغرية منافساً بذلك الراغبين في شرائها من الليبيين وان سيطرة مؤسسة مالية كبيرة مثل (بنك دي روما Banco Di Roma) على مساحات كبيرة من الأراضي يعد مخالفة لقانون الأملاك العثماني وهذا لا يقبله العقل وعليه فان الولاية ستوقف عمليات شراء الأراضي من قبل البنك. (20) كما استطاع الوالي (رجب باشا) أن يعرقل خطط (بنك دي روما Banco Di Roma) إلى حد كبير في عمليات شراء الأراضي، حيث اتخذ الإجراءات اللازمة لوقف شراء البنك للأراضي في ليبيا، على الرغم من سماح الحكومة العثمانية وتغاضيها عن عمليات البنك في هذا المجال، بل أن هناك من مارس ضغوطاً على والي طرابلس بشأن التغاضي عن (نشاط بنك دي روما Banco Di Roma) في عمليات شراء الأراضي ، ويأتي في مقدمة هؤلاء (حقي باشا) السفير العثماني في روما وأعدائه في الحكومة العثمانية نفسها، علماً بأنه تولى رئاسة الوزارة العثمانية بعد ذلك، فقد تمكن الإيطاليون من التأثير عليه ليتوسط لدى السلطات العثمانية بغية التساهل مع (بنك دي روما Banco Di Roma) في عمليات شرائه للأراضي، فأوعز الباب العالي إلى الوالي (رجب باشا) بأن يقبل بيع الأراضي الفراغ باسم المدير العام (لبنك دي روما Banco Di Roma)، إلا أن الوالي (رجب باشا) قد عارض هذه الأوامر الصادرة من الباب العالي، وأخذ يحرض الأهالي على الشراء بعضهم من بعض، وحرص دائرة الطابو (التسجيل العقاري) على عدم التسجيل باسم البنك وأصدر أوامره إلى المحاكم العثمانية في طرابلس بأن لا تقبل قضايا البنك لأنه لم تتوافر في تأسيسه الشروط القانونية. كما قام الوالي (رجب باشا) بشراء الأراضي من المواطنين لصالح الدولة والسلطان العثماني، وحاول بذلك أن يقطع الطريق أمام البنك وسياسته. كما شجع الوالي (رجب باشا) على إنشاء (المصرف الزراعي بطرابلس الغرب Banque Agricole De Tripolitaine) براس مال وطني من اجل مساعدة صغار الفلاحين ووقف إجراءات (بنك دي روما Banco Di Roma). (21) وقد لاحق الوالي (رجب باشا) النشاط الإيطالي في الولاية ملاحقة فعالة، فكان يتابع بنفسه صلات

أمام الأطماع الإيطالية في الولاية بعد أن ساد شعور عام بين معظم المواطنين بأن تصرفات أفراد الجالية الإيطالية قد حادت عن الصواب. ففي 22 مارس 1900م قام الوالي (رجب باشا) برفض طلب القنصل الإيطالي (برنابي Barnabi) والذي اخبر الوالي بان هناك بعض المواطنين الإيطاليين يرغبون في شراء أراضي زراعية في الولاية في منطقة بئر الغنم من اجل استثمارها في مجال الزراعة وأجابه بان أراضي الولاية تتصرف فيها القبائل وليس في أماكن الحكومة إعطاء شئ منها، وأن بيع الأراضي وانتقال ملكيتها في الولاية له معاملته وشروطه الخاصة، وكان رجب باشا يدرك أن قصد الإيطاليين من استملاك الأراضي الكثيرة وإعمارها باسم الشركات الإيطالية ليس بمحض الصدفة وما هو إلا تدبير من قبل الحكومة الإيطالية من أجل السيطرة على الولاية واحتلالها. (18).

وكان الوالي (رجب باشا) ، على معرفة عميقة بأحوال البلاد بعد أن أمضى فيها عدة سنوات قائداً للجيش . وقد كانت سياسته تقوم على أساسين : معارضة سياسة إيطاليا، ونشر التعليم . وقد أفلح في النجاحين، فوقف للسياسة الإيطالية في كل طريق، واستعمل نفوذه في معارضتها إلى أبعد حدود المعارضة، وقام بإصلاح القلاع والحصون، وأتى بالجند والأسلحة من اسطنبول، وكان يشجع على الزراعة ويحث على تعلم العلم والاستزادة منه ويرغب الناس في الجندية. (19)

كما عارض الوالي (رجب باشا) بشدة تأسيس فرع (لبنك دي روما Banco Di Roma) في ولاية طرابلس الغرب ، لكن النفوذ الإيطالي في اسطنبول نجح في فرض الأمر عليه عام 1907م عن طريق الحكومة التي أوعزت إليه بعدم التشدد خوفاً من القلاقل السياسية، وأنشئ البنك رغم معارضته له . كما قام الوالي (رجب باشا) بعد ذلك بإرسال تقرير في 2 فبراير 1908م إلى السلطات العثمانية في اسطنبول يوضح فيه نشاط (بنك دي روما Banco Di Roma) وكيفية فتحه من قبل المخابرات الإيطالية ، وأنه بدأ في تنفيذ أغراضه بكل قوة ووضع أسس للتدخل الأجنبي وإحداث المشاكل، واستملاك الأراضي لتوطين المهاجرين الإيطاليين وشرائها بأثمان تزيد عن قيمتها الحقيقية. وقد حاولت حكومة الولاية الوقوف دون ذلك، وقامت بتقديم القروض الكافية للأهالي من فرع البنك الزراعي في الولاية الذي زود أخيراً بمبلغ اثنين وعشرين ألف جنيه، والبنك العثماني.

الأهالي، بحجة أنهم لم يتمكنوا من تسديد القرض مقابل الرهن الذي أخذ مقابلها .

ثالثاً : أثبت التحقيق كذلك أن معظم الأموال التي استعملها البنك في شراء الأراضي، هي في الواقع أموال من الحكومة الإيطالية ومن الفاتيكان .

وقد وضعت هذه التحقيقات الحكومة الإيطالية في موقف حرج أمام الدولة العثمانية ، حيث كانت إيطاليا تنفي أي تدخل في شؤون البلاد ، وأقرت أن تحترم الأراضي العثمانية . وعلى الرغم من هذا الإجراء الإيطالي فإن ما أكدته التحقيقات الرسمية التي قامت بها السلطات العثمانية في الولاية كانت على قدر من الخطورة بحيث لم يعد هناك إمكانية لإغفالها ، فأرسلت الحكومة العثمانية لجنة خاصة بغرض دراسة الوضع واقتراح بعض الحلول . وقد أوصت اللجنة بالتالي: (25)

1- وقف جميع عمليات شراء الأراضي من قبل كل الإيطاليين ، حتى يعاد النظر في الأمر ، وحتى تبت وزارة الداخلية في اسطنبول فيها .

2- رفضت اللجنة طلب حكومة إيطاليا لإعطائها معاملة خاصة أو امتيازات فيما يتعلق بالعطاءات والمشاريع الاقتصادية في الولاية واقترحت اللجنة تشجيع الشركات الأجنبية الأخرى - غير الإيطالية- بأن تدخل في العطاءات حتى يتجنب حدوث أية سيطرة إيطالية .

3- أوصت اللجنة بأن أنشطة (بنك دي روما Banco Di Roma) يجب أن تقتصر على المدن الكبرى في الولاية حتى تبت اسطنبول في الأمر .

وقد أثارت هذه المقترحات حفيضة الإيطاليين ، فهاجمت صحفهم السلطات العثمانية، واحتج أفراد جاليتهم بليبيا على الحكومة الإيطالية لعجزها على حماية مصالحهم ، كما نادى بعضهم بشن الحرب على الدولة العثمانية واحتلال ولاية طرابلس الغرب .

كما أن القرار الثاني القاضي بمنع البيع، وإعطاء نفس المعاملة لكل الدول فيما يتعلق بالعطاءات أغضب الإيطاليين الذين اعتقدوا أن هذا القرار ربما يدفع بعض الدول للطمع في الولاية واحتلالها ، رغم ما قاموا به من اتصالات مع هذه الدول للانفراد بها . وقد ساد هذا التأثير والغضب البرلمان الإيطالي ، حيث صرح النائب (روميو كالينجو Romeo Kalong) بأنه إذا تقدمت دولة أخرى بأي عمل فإن مصالح إيطاليا في ليبيا قد تتضرر وعليه فقد حرص الإيطاليون على أن تكون ليبيا لهم وحدهم ، حيث أنهم كانوا يقفون ضد

العملاء الإيطاليين بالأهالي، ويحذر القلة من المواطنين التي انسأقت للتعاون مع البنك والحكومة الإيطالية. وقد حققت جهود الوالي (رجب باشا) في مجابهة النشاط الإيطالي بطرابلس نجاحاً ملحوظاً، وأحس دعاة الإيطاليين بفشل سياستهم في تنفير الطرابلسيين من الجندية والسلطات العثمانية، فاتجهت سياستهم إلى عزل الوالي (رجب باشا) من منصبه ، وقد نجحوا في ذلك. فقد أستدعي بعد الانقلاب بفترة قصيرة إلى اسطنبول وعين وزير للحرية في الوزارة الجديدة وغادر طرابلس إلى العاصمة العثمانية على متن الباخرة (سلانيك)، واستقبل في اسطنبول استقبال الظافرين ، ولكنه لم يلبث سوى مدة قليلة في منصبه الجديد ، حيث توفي فجأة في مكتبه 16 أغسطس 1908م. (22)

وقد خلفه على الولاية في طرابلس لعدة أشهر أمير اللواء (محمد علي سامي باشا) ، وهو رجل عسكري بعيد عن الشؤون السياسية . ثم جاء بعده (أحمد فوزي باشا 1908م-1910م) ، والذي كان متساهلاً مع الإيطاليين ، مما زاد من شعور المواطنين بخطر التدخل الإيطالي وسخطهم عليه ، فتقدموا بطلب لدى السلطات العثمانية وطالبوا فيه بعزله لما كان يقدمه للإيطاليين من مساعدات بالتعاضدي عن تصرفاتهم والتحايل على القانون بشرائهم الأراضي مستغلين نتائج الجفاف الذي حل بالبلاد . فاستجابت حكومة الشبان العثمانيين وكلفت والياً جديداً للبلاد هو (إبراهيم أدهم باشا 1910 - 1911م) بالحفاظ على هذه الولاية ، والوقوف ضد التدخل الإيطالي. لكنه حالما وصل واجه نفس المشاكل التي واجهها من قبله الوالي (رجب باشا)، فقد أنهم من قبل القفصل الإيطالي بأنه يحمل كراهية خاصة للإيطاليين وأنه كان رافضاً للتعامل مع القفصلية الإيطالية حتى في الأمور البسيطة. (23) وقد كانت أول أعمال الوالي (إبراهيم أدهم باشا) القيام بالتحقيق في أمور البنك ونشاطه، وكان هناك العديد ممن يدينون هذه المؤسسة، وتأكد للوالي (إبراهيم أدهم باشا) بعد التحقيق ما يلي: (24)

أولاً: أثبت التحقيق أن البنك كان يتحايل على القانون الذي يمنع المؤسسات الأجنبية من ملكية الأراضي في الولاية ، عن طريق إعطاء الأموال للإيطاليين المقيمين في الولاية لشراء هذه الأراضي .

ثانياً : وجد التحقيق أن كل الأراضي المشتراة حتى إجراء التحقيق قد آلت إلى يد البنك من

إلا أن السلطات العثمانية رفضت ذلك بشدة لاتساح زيف الطابع الدولي للمجموعة ، لأنها تعرف أن الإيطاليين هم المشرفون الحقيقيون، وأن المشاركين الآخرين خصوصاً الطرابلسيين ليسوا إلا غطاء . ولذلك رفضت الحكومة العثمانية إعطاء أي امتياز للشركة الرباعية المتعددة الجنسيات.(30)

كما ركز الوالي (إبراهيم باشا) جهوده للإعداد ليوم المجابهة مع الحكومة الإيطالية، حيث فرض الجندية على المواطنين ، وكتب للحكومة العثمانية منبهاً إلى الأخطار المحدقة بطرابلس الغرب، واقترح إرسال كمية كبيرة من الأسلحة إلى الولاية لمجابهة أي عدوان مفاجئ من قبل إيطاليا، وخاصة أن الولاية ليست بها قوة بحرية تدافع عنها، وطالب بإنشاء مصنع للسلاح أو الذخيرة على الأقل ، وذلك بحيث يكون في أيدي الأهالي عدة كافية يدافعون بها عن أنفسهم ، كما قام بتوجيه انتقادات شديدة إلى المسؤولين في اسطنبول، وحثهم على أن لا يعطوا الفرصة لنجاح الغزو الإيطالي للولاية.(31)

وأدركت الحكومة الإيطالية أن سياستها في طرابلس الغرب معرضة للخطر، فجلأت إلى الحكومة العثمانية في اسطنبول تشكو إليها معارضة الوالي (إبراهيم باشا) لسياستها ومصالحها في ولاية طرابلس الغرب، والذي أخذت تأتبه الأوامر من الحكومة العثمانية في اسطنبول بما يرضي الإيطاليين، إلا أنه كان يسوف ويراوغ في شيء من اللباقة كسباً للوقت وانتهزاً للفرص، وقد ألح الإيطاليون على الحكومة العثمانية في اسطنبول نقله ولجأوا إلى رئيس الوزارة (حقي باشا) للتأثير عليه ونقله، فوافق على ذلك، وأصدر أوامره بعزله في سبتمبر سنة 1911م واستدعاه إلى العاصمة العثمانية اسطنبول ليفسح المجال أمام الإيطاليين ، وترك الولاية بدون وال ولا قائد وهو حادث لم يسبق له مثيل، مما يدل على تأمر (حقي باشا) مع الإيطاليين على احتلال الولاية.(32)

وقد أهملت شؤون الولاية في عهد الصدر الأعظم (حقي باشا)، وازدادت جراً إيطاليا وخفض عدد القوات العثمانية الموجودة في الولاية - بدلاً من زيادتها - وأرسل بعض الكتائب إلى اليمن ونقلت الأسلحة والمؤن الحربية الموجودة في مخازن طرابلس إلى اسطنبول.(33)

أي عمل تقوم به أية دولة أخرى ، مثل النمسا وألمانيا وفرنسا وغيرها بليليا .(26)

وقد أعد (جياكومو دي مارتينو Giacomo Di Martino) (27) السفير الإيطالي في اسطنبول تحليلاً واقعياً للوضع الجديدة الناتجة عن المنافسة الألمانية والأجنبية للمصالح الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب جاء فيه : (28)

أولاً : تشكل الاستثمارات الأجنبية وخاصة الألمانية والتي تشجعها السلطات المحلية خطراً حقيقياً على وضعيتنا السياسية والاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب، ويمكن لهذه الاستثمارات أن تخلق مع مرور الأيام وضعية فعلية مخالفة لكل ما نأمله مستقبلاً .

ثانياً : إننا لا نملك أية وسيلة لمنع الدولة العثمانية عن تشجيع الاستثمارات الأجنبية وتفضيلها على الاستثمارات الإيطالية وإن الحكومة العثمانية تمارس حقاً مقدساً ضد الاختراق الإيطالي الذي تحذر منه .

ثالثاً : إننا لا نملك أية وسيلة لمنع المواطنين الأجانب من القيام بالاستثمار في ولاية طرابلس الغرب .

رابعاً : كلما تأخر الحل المنطقي والوحيد (الغزو العسكري) للمسألة الطرابلسية كلما أصبح هذا الحل صعباً .

كما قام الوالي (إبراهيم باشا) بمنع (بنك دي روما Banco Di Roma) من إخراج الحجارة الأثرية من قرقرارش وناحية جنزور، بحجة أنه لا يجوز إخراج المعادن بدون رخصة، ولأن تلك المنطقة عسكرية لا يجوز الاقتراب منها. ورفض عرضاً للبنك بإنارة المدينة بالكهرباء بدون مقابل، وعمل حصاراً شاملاً للمؤسسات التبشيرية الأجنبية في الولاية (29). وأمام هذا التشدد العثماني وعرقله نشاط بنك دي روما وخاصة في ميدان المعادن اضطر مدير البنك (أنريكو بريشاني Enrico Berchiani) إلى إنشاء مؤسسة إيطالية فرنسية مصرية انضمت إليها أيضاً شركة طرابلسية كان يترأسها السيد (مصطفى بن زكري)، وذلك ك محاولة للتستر على الوجود الإيطالي. وتعمدت المجموعات الثلاث: الفرنسية والمصرية والإيطالية على أن لا يتم التعامل بخصوص أي امتياز منجمي في ولاية طرابلس الغرب إلا عن طريق المؤسسة العربية بطرابلس، وينبغي الحصول على موافقتها قبل البدء في تنفيذ أي مشروع .

ثالثاً : الصحافة الوطنية ودورها في مواجهة الحملة الإعلامية الإيطالية

المغرب الأقصى أكبر عبرة لمن أراد أن يعتبر
بالمشاهدة والنظر" (35)
وكتبت الصحيفة مقالاً آخر تحت عنوان :
"إيطاليا في طرابلس الغرب" توضح فيه أنه لا
يوجد في إيطاليا أو خارجها من الإيطاليين إلا وله
مطامع ومطامح في ولاية طرابلس الغرب ، وأن
الصحف وبايعاز من العناصر الإيطالية الموجودة
في طرابلس تدفع بالحكومة والشعب الإيطالي إلى
احتلالها في أسرع وقت ممكن ، بل أصبح
الاحتلال ضرورة لازمة لا تقبل التأجيل ، فتقول :
" وافقنا في هذا الأسبوع عدة صحف إيطالية وقد
نشرت كل منها مقالاتها الافتتاحية تحت هذا
العنوان: " إيطاليا في طرابلس الغرب " ، وكلها
تحت الحكومة والشعب الإيطالي بصراحة وبلا
حياء على احتلال طرابلس الغرب وبرقة وإجلاء
الحكومة العثمانية من هاتين المملكتين قبل أن
تتقوى ، وما يزيد من أسفنا أن نرى من خلال هذه
الكتابة عدة ملاحظات صادرة من أبنائهم الذين هم
الآن بيننا ومتعممين بخيرات ولايتنا ، وكلهم
يظهرون المودة وأن ليس لهم قصد في هذه الولاية
سوى التجارة . وهذا يؤكد بأنه لا يوجد أحد في
إيطاليا إلا وله قصد في ولاية طرابلس
الغرب".(36)

كما قامت الصحيفة بالرد على الحملة الإعلامية
التي اتسع نطاقها فشملت الليبيين في محاولتها
للتأثير عليهم سلبياً حتى يشعروا بالإحباط وانعدام
الثقة في نفوسهم، فشرعت الصحف الإيطالية تقلل
من شأنهم رامية إياهم بالتعصب وعدم التسامح ،
وكرهية الآخرين الذين يخالفونهم في المعتقد
وخاصة الإيطاليين الذين يعيشون بينهم (37) .
حيث نشرت مقالاً حول (أوروبا والإسلام ومن هو
المتعصب) أكدت فيه على بعض المواقف التي
تثبت مدى تسامح الإسلام مع الأوروبيين وتعصب
المسيحيين تجاه الإسلام، وفي ختام المقال جابهت
صحيفة (ايكودي تريبولي) التي تتهم المسلمين
بالتعصب ، وجاء المقال كالتالي: (38)

" هل يمكن لزميلتنا ايكودي تريبولي أن تتكرم
علينا بما يقابل ذلك من أعمال المسلمين ضد
غيرهم حتى نصدقها في الحكم علينا بالتعصب ...
ولو كان جناب محررها يسكن إحدى مدائن روسيا
هل كان في وسعه أن يصدر صحيفة بها ويكتب
جزءاً من ألف مما يكتبه عنا ؟ ... إننا نظن أن
جنابه ولد هنا وكبر هنا ، فهل يسمح لنا بذكر حادثة
وقعت له بسائقة التعصب ؟ وهل سمع أن أحداً من

أمام تزايد نشاط الصحف الإيطالية في حملتها
الإعلامية ضد ليبيا أخذت المواجهة في ليبيا
تتصاعد في مقاومتها من قبل الصحف الوطنية ،
والتي نجحت من قبل في توعية المواطن ثقافياً
 واجتماعياً ، فهي تتحمل الآن مسؤولية تعبئته ضد
سياسة إيطاليا التوسعية والارتقاء به إلى مستوى
الإنسان المفكر الواعي بما حوله ، ومدته بقدر
كاف من المعلومات الصحيحة وبلغة سهلة يفهمها
ويستسيغها . وقد سلكت الصحافة الوطنية في
مواجهتها للصحف الإيطالية اتجاهين :

الاتجاه الأول : ترجمة ما ينشر من مقالات في
الصحف الإيطالية الموجهة لخدمة المصالح
الإيطالية وسياستها نحو ليبيا ، بقصد التأثير على
الرأي العام الإيطالي ، وإعادة نشرها حتى يقف
المواطن على نوايا إيطاليا.

الاتجاه الثاني : الرد على تلك المقالات في شكل
يغرس حماس التصدي والمقاومة في نفوس
الجماهير ، واتخاذ موقف مضاد أكثر تضامناً
وتمثالاً .

وقد صورت (صحيفة الترقى) (34) الأثر الذي
يتركه نشر وفضح مقالات صحف إيطاليا على
الرأي العام في ليبيا في قولها : " لو تتبعنا ما
نشرته جرائد أوروبا من مقالات الطعن والاحتقار
لأوجب ذلك هياج الرأي العام عندنا بما لا طاقة
للحكومة أن تقاومه " . وأدركت الصحيفة منذ
بدايتها أن موقف الحكومة الإيطالية الذي يتسم
بالتأني والترتيب ، وموقف حزب القوميين الذي
يرغب في اتخاذ الخطوات السريعة والفورية
لاحتلال ليبيا هدفهم واحد رغم الحملة الإعلامية
التي شنها الحزب ضد الحكومة الإيطالية . وقد
نشرت الصحيفة لتبيان ذلك في أحد مقالاتها تقول
فيه : " يتضح للقراء جلياً أن إيطاليا تعمل بكل
جهدا لاحتلال هذه الولاية ، وكل حركة تصدر
منها هنا إنما يقصد منها الوصول إلى هذه الغاية ،
ولا فرق في هذا بين الحكومة والأمة ، غاية الأمر
أن رجال الحكومة والسواد الأعظم من الأمة يرون
لزوم التأني وانتهاز الفرصة، وحزب الاستعمار
وصحفه يعتقدون أن الوقت قد حان ، وأنه لا مجال
للسبر ولأبد من التسريع ولو أدى ذلك لسوق قوة
عتيدة ، وهذا هو عين ما يراه القارئ في صحف
إيطاليا على اختلاف مشاربها ، فلم يبق ريب بعد
في أن الحالة تستدعي انتباهاً شديداً منا ، ويجب
على كل فرد منا أن يكون يقظاً حذراً وإلا ساءت
العاقبة وحل بنا ما حل بغيرنا ، وفي حوادث

الأجنبية والبنوك الاستعمارية والتهاون لشأنها ،
وتحدثت الصحيفة أيضاً عن الأجانب الذين يأتون
للتنقيب في الصحراء مستترين بحجة الإطلاع على
الأثار ، ولهم من وراء ذلك أغراض أخرى.(41)
أما صحيفة (المرصاد)(42) فقد قامت
بالمشاركة في الرد على الحملة الإعلامية التي
شنتها الصحف الإيطالية ضد العرب الليبيين
فنشرت في إحدى مقالاتها قائلة : " تنطق صحف
الطليان وحزب الاستعمار الجاهلين بأحوال
الطرابلسيين أنهم متعصبون على غيرهم من بني
الإنسان ما داموا غير مسلمين ، وأن هذا الظن
الفاقد مردود عليهم فإن الطرابلسيين هم غير
متعصبين على غيرهم ما لم يتدخلوا في وطنهم
وأموارهم .

الأمة الطرابلسية أمة حية ، وأن الذين ينسبون
إليها التوحش والهمجية مخطئون ويعززون إليها ما
هم متصفون به ، وهي براء منه براءة الذئب من
دم ابن يعقوب " .

وكتبت الصحيفة أيضاً في مقال آخر تحت
عنوان : (صحف الطليان والأمة الطرابلسية)
ذكرت فيه : (43)

"عجيب من أعداء الوطن أنهم يسيئون إلينا
ويشبهون بسمعتنا وينسبون القبيح إلى عقائدنا،
ومما هو جدير بالدهشة ما كتبه الصحف الطليانية،
خصوصاً صحيفة (ايكودي تريبولي) التي تطبع في
عاصمتنا الإسلامية ، ويا ليتهم يستندون في
شططهم على دليل يبرر حملتهم المشؤومة
وإرجافهم المريب وتهورهم المعيب بل هو تخطيط
عشوائي، وما تأتبه غلطاً ولو أن محرريها الجهلاء
فقهوا ماذا يكتبون، ولم يحملهم جهلهم على نسبة
التوحش والهمجية إلى الأمة الطرابلسية، ذكرت
تلك الصحف الساقطة أشياء لا وجود لها في ولايتنا
المحروسة إلا في مخيلتهم ، فالأمة الطرابلسية
واقفة لكم بالمرصاد يا أعداء الوطن والإنسانية
ومتنبهة لمقاصدكم السيئة، فإذا لاحظنا الحقيقة
وأردنا بيان أحوال الأمة الطرابلسية وأخلاقها
واحترامها للأجانب ما لم يتدخلوا فيما لا يعنيهم
لاحتجاج إلى مجلدات ضخمة، لكن أعداء الوطن
يعلمون الحقيقة ولا يعترفون بها " .

وهاجمت الصحيفة في مقال آخر الحكومة
الإيطالية وصحافتها قائلة : " يا أعداء الوطن ويل
لكم إذا ظلتم في تماديكم مع الأمة الطرابلسية
والدولة العلية تتهمونهم بأفزع التهم ، وتقذفونهم
بأبشع الأثام الاجتماعية وكأنكم لا تعلمون أن
الصحافة الصادقة وأقلام محرريها من ورائكم
تفضح مخازيك وتوضح مراميك وتشرح عيوبكم

السائحين حصل له أدى من أحد المسلمين؟ وهم كل
يوم يردون الولاية ويتجولون في جميع جهاتها، إن
أكثر النزلاء بل والقناصل يخرجون بدون حراس
مع عائلاتهم ويتجولون في الساحل وجنزور
وغيرها فمتى ضربوا لكونهم كفاراً، وهذا جناب
قنصل أمريكا ذهب مراراً إلى جامع تاجوراء
وصوره فهل منعه أحد من ذلك، إن كثيراً من
المصورين يصورون أرباب الزوايا يوم المولد
المعدود من الأعياد الدينية فأى مرة أصيبوا لكونهم
كفاراً، فإن لم يصدق جنابه ذلك فليسأل عن (صالبو
وفاريو وفوانسوايس) وغيرهم من المصورين.

ترسل حكومة فرنسا رجال الدين، وبلاد الشرق
مفتوحة لمدارسهم ويتردد المسلمون عليها ... أبى
روزفلت أن يقابل البابا عندما شرط عليه عدم
التعرض للأديان، لكن المسلمين دعوا ذلك الرئيس
إلى الخطبة في جامعتهم وسمعوا بأذانهم فظاعته،
فمن هم المتعصبون؟ " .

كما قامت الصحيفة بتنبية حزب الاستعمار بأن
احتلال ليبيا ضرب من المحال، ولا يتم إلا على
قوافل من الشهداء حتى لو تخلت الدولة العثمانية
عن واجب الدفاع عن ولايتها ، ونشرت في هذا
الخصوص قائلة : (39)

" أما من جهة احتلال هذه الولاية فإننا مازلنا
نؤكد لحزب الاستعمار أنه ضرب من المحال لأنه
لو فرضنا أن دولتنا العليا لا تستطيع أن تحافظ
علينا كما يتوهمون ، فإننا قادرون على الدفاع عن
أنفسنا ولا قبل لصبيان صقلية على تحمل هجير
سواحلنا والصبر على قلة الماء أياماً ، أما نحن فلا
ثروة تشغلنا ولا رقة تصدنا عن تحمل مزاحم
الحرب ومشاق القتال ، ويمكن لكل رجل منا أن
ينام على الأرض وتحت السماء السنين بدلاً من
الشهور ، وقد علم الناس أجمعين أنه ليس منا من
يشق عليه أن يقتحم الموت ويوجد بنفسه في سبيل
الدود عن وطنه .

أما ما أراد الإيطاليون أن يدسوه بيننا من
الشقاق وأظهروا أن لهم هنا أعواناً يعتمدون عليهم
فإننا نبشرهم بأن تلك حيلة لا تنطلي على صبياننا،
ولا نظن أن حملاً منا يرضى أن يصير ملكاً تحت
حماية إيطاليا " .

كما اهتمت (صحيفة أبو قشة) (40) بالسياسة
الداخلية والخارجية للولاية وحملت على النشاط
الاقتصادي الاستعماري وفضحه، ونادت
بالإصلاح وانتقدت فساد رجال الإدارة في الولاية.
وحذرت من ألعيب الطليان ونبهت السلطات
العثمانية في الولاية من خطر تأسيس الشركات

وتعلن عدوانكم وتتادي في كل ملا بما تستحقونه بسبب اعتدائكم علينا وتهجمكم على دولتنا بلا سبب سوى محاولتكم أن تخذلونا وتوقعوا بوطننا. (44)

وشاركت صحيفة (دار الخلافة) (45) في الحملة الإعلامية ضد الأطماع الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب حيث قامت بفضح الدسائس والمؤامرات ، التي كان الإيطاليون يحيكونها حول الولاية ونشرها . وكانت الصحيفة تتلقى معلوماتها من أبناء ليبيا الذين يرسلونها إليها . كما قامت الصحيفة بفضح السياسة الفرنسية ومحاولاتها الاستيلاء على جنوب ليبيا خاصة بعد احتلالها لتونس والجزائر. (46)

كما شاركت في هذه الحملة بعض الصحف العثمانية التي تعاطفت مع الحركة الوطنية التي عمت ولاية طرابلس الغرب ضد التغلغل الاجنبي فيها وفي كافة أرجاء الامبراطورية. (47)

وقد سببت مواجهة الصحف الوطنية للصحف الإيطالية إزعاجاً للأحزاب الإيطالية المؤيدة للغزو، وللحكومة أيضاً، وبصورة خاصة الاتجاه القومي الاستعماري، بعد أن تمكنت الصحف الوطنية من إحراز النصر في كسب تأييد الرأي العام في ليبيا لاتجاهات الصحف المحلية وإحباط المخططات الإيطالية الرامية إلى احتلال طرابلس من خلال ما يسمى بسياسة التوغل السلمي، هذا النصر دفع بحزب الاستعمار إلى أن يهدد علناً الصحف الوطنية وعلى الأخص صحيفتي الترقى والمرصاد اللتين أعلنتا التحدي الصارخ لكل تهديد . ونشرت صحيفة المرصاد مقالاً في هذا الخصوص تحت عنوان : (حزب الاستعمار الطلياني والمرصاد والترقى) للرد على تهديدات حزب الاستعمار جاء فيه: (48)

" مهما قال حزب الاستعمار ، وصاح بأعلى صوته في طرابلس أو في إيطاليا منذراً المرصاد والترقى بالويل والثبور فلا غرو أننا قد اطلعنا على دسائسه وحيله وأثبتناها للرأي العام بالدليل والبرهان الساطع حتى انكشف أمره واقتضح سره

إن حزب الاستعمار الطلياني وأذنايه الذين يغمضون جفونهم حتى لا يروا شمس الحقيقة ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار ، لو نظروا قليلاً ولو من طرف خفي إلى أعمال الصحافة الطرابلسية بدون أن يرضعوا على عيونهم النظارات الملونة بالمكرونة والفئران لأفروا لها بالفضل".

وقد التفت الصحف الوطنية حول الهدف الواحد الذي كان يهيم الوطن والمواطن، فقد تناست الصحف الصراعات الجانبية بينها ، التي كانت

تخوضها بسبب أو بدونه وأدت أحياناً إلى الوصول إلى المحاكم للفصل في هذا الصراع ، ونبذت الشقاق واجتمعت على أمر واحد هو مقاومة التمهيد الإيطالي للاحتلال عبر قنواته المتعددة وأهمها الوسائل الثقافية والاقتصادية . هذا الموقف المنسجم مع أهداف الجماهير في التخلص من الوقوع تحت سيطرة إيطاليا ، شكل اتجاهاً واحداً في الرأي والفكر عبرت عنه الصحافة في اتحاد كلمتها .

وقد انزعجت الحكومة الإيطالية من النتائج الإيجابية التي حققتها الصحف الوطنية في فضحها لسياساتها التوسعية التي كانت تغلفها بغلاف إنساني وحضاري لتخفي وجهها القبيح بادعائها محاولة إنقاذ ليبيا وشعبها من السيطرة العثمانية التي دفعت بها إلى التخلف والجهل والفقر ، وأبعدتها عن حضارة القرن العشرين بما فيها من تقدم ورقي ، في الوقت الذي عجزت فيه عن إصلاح حال المجتمع الإيطالي الذي يعاني أيضاً الفقر والجهل بالمقارنة بالشعوب الأوروبية الأخرى . وقد أبدت الصحف الإيطالية انفعالاً مضاعفاً عندما بدأت صحيفة المرصاد تنشر سلسلة من المقالات نقلاً عن الصحف الإيطالية التي تصور حالة الفوضى والإهمال التي تعيشها إيطاليا في كل المرافق وخاصة الجيش. (49)

وشارت ثائرة الحكومة الإيطالية وقنصلها في ولاية طرابلس الغرب من قيام الصحيفة بترجمة المقالات المنشورة في الصحافة الإيطالية وخاصة المقالات التي تخص الجيش الإيطالي ونشرها . وقد اتصلت الحكومة الإيطالية بقنصلها وأمرته بالتدخل فوراً لإيقاف هذه الصحيفة . وبتاريخ 23 يوليو 1911م رفع القنصل الإيطالي تقريراً للوالي العثماني في طرابلس يشكو فيه الصحيفة وقيامها بنشر ثلاثة مقالات هاجمت فيها ضباط الجيش الإيطالي وطلب منه إصدار أوامره حالاً للجهات بمنع هذه الصحيفة عن الصدور ومعاقبتها بما يليق بها من عقاب رادع.

ولم يكن هذا التقرير بداية تدخل قنصل إيطاليا (50) في قمع الصحافة الوطنية ، وإخراص الأفواه التي تفضح سياسة حكومته ، بل سبقت ذلك حوادث كثيرة كان أهمها طرد الصحفي الأرجنتيني (جوزمان Jazzman) (51) الذي كان يشهر بمحاولات إيطاليا في تمهيدها لغزو ليبيا .

وذكرت صحيفة (الفردوس) في هذا الخصوص أنه ليس من العدل ولا من الصداقة التي تدعيها إيطاليا نحو الدولة العثمانية أن تفرض رأيها على والي طرابلس، وتجبره على اتخاذ قرار بطرد

الإعلامية، برزت نتائجه الإيجابية من خلال مقاومة الشعب الليبي للغزاة. إلا أن الصحافة الوطنية على الرغم من صدقها وحماسها وقوة حججها عجزت عن التأثير على حكومة الوالي وبالتالي التأثير على سياسة الدولة المركزية في اسطنبول، والسبب في ذلك أن الأمور كانت أبعد وأوسع من دائرة الصحافة الوطنية، وأن سياسة البلاد كانت تحاك في أوساط بعيدة عن أرضها وضمن اعتبارات لم تكن توضع في دائرتها مصلحة البلاد الحقيقية ولا مطامح شعبها". (53)

ثالثاً : دور مندوبي ليبيا في مجلس المبعوثان العثماني (54) ومواجهتهم للأطماع الإيطالية

نرى الدنيا تباهي بالمدينة والإنسانية ، ولكن بالرغم من هذه المزاعم الكاذبة لا يستطيع أحد أن ينكر أن الحق لا يزال للقوة إلا إذا كان مكابراً ولا أثر للإذعان في قلبه . من أجل ذلك نبكي دماً ، لعلمنا أن القوى العثمانية لا تستطيع الدفاع عن طرابلس الغرب وبنغازي ، وأن تلك الولاية المفتقرة إلى قوة بحرية عظيمة لا تزال منقطعة عن السلطنة العثمانية ولا صلة بينها وبين عاصمة العثمانيين ، وتركت تنن من الأم الجوع والبؤس حتى انتهى الأمر أن أصبحت طرابلس الغرب إلى هذا اليوم خالية من الجيش ومن وسائل الدفاع ومن كل أنواع الاستعداد . ولم يخطر أبداً في بال حكومة حقي باشا التي فاقت الحكومات السابقة في الإهمال والغفلة أن تدخر في طرابلس وبنغازي ما يكفي القوات العثمانية المرابطة هناك من الأرزاق والمؤن والذخائر الحربية التي من شأنها أن ترد شكيمة أعدائنا الطامعين في الاستيلاء على بلادنا أو تؤخر زمن مشروعهم فيما يعلمان به نفوسهم. (57)

ثم أن هناك من الأغلاط السياسية والإدارية الأخرى التي ارتكبتها وزارة (حقي باشا) بشأن طرابلس الغرب مما يضطرننا - نحن مبعوثي هذه الولاية - إلى أن نذكرها بكل حزن وأسف ، وهي :
أولاً : أن طرابلس الغرب - حتى في عهد الإدارة السابقة - كان يوجد فيها دائماً من خمسة عشر ألفاً إلى عشرين ألفاً من الجيش النظامي بخلاف فرق الأهالي التي يتراوح عددها من أربعين إلى خمسين ألف مقاتل المعلمة تعليماً عسكرياً بحيث يمكن استخدامها في الدفاع عن البلاد في حين الحاجة إليها. أما وزارة (حقي باشا) فإنها أهملت هذه القوة الشعبية، كما قامت بنقل عدد من الجيش النظامي إلى اليمن، ومن ثم هبوط عدد الجنود العثمانيين في ولاية طرابلس إلى أقل من خمسة آلاف.
ثانياً : كان سكان ولاية طرابلس الغرب قد طالبوا فور صدور الدستور بالتنفيذ الفوري للتجنيد في

صحافي أجنبي من ولاية طرابلس بسبب موقفه من سياسة إيطالية في الولاية. (52)

واستطاعت الصحافة الوطنية أن تكسب تأييداً إعلامياً وتعاطفاً أجنبياً ضد سياسة القوميين الذين يؤمنون بأن سفك الدماء يجعل الأمة قوية ونشيطة ويوحدها ويعمق وطنية أهلها، وشعارهم يقول: إذا شعرت بالانحطاط فأخرج واقتل شخصاً، وضد إعلام إيطاليا المضلل. ومع نضالها الإعلامي من أجل المواجهة والتصدي، حققت الصحافة الوطنية نجاحاً باهراً إلى أبعد حد في هذه الحرب

ساهم نواب الولاية في مجلس المبعوثان بأسطنبول في التحرك الشعبي ضد الوجود الإيطالي في ليبيا ، وتابعوا من مواقعهم ما كان يدور في العاصمة العثمانية بشأن الولاية، ولاحقوا المطالب الشعبية في الدوائر الحكومية المركزية. وقد احتج نواب ولاية طرابلس الغرب في اسطنبول عندما عزل الوالي (إبراهيم أدهم باشا) وتركت الولاية بدون والي في الوقت الذي يعد فيه العدو نفسه للهجوم عليها . كما جابه النواب سياسة حقي باشا المتواطئة مع الإيطاليين وانتقدوها انتقاداً مراراً، وبينوا ما جرته هذه السياسة على الولاية من ويلات (55) ، وحين غزت إيطاليا ليبيا اتهموه بالخيانة العظمى ووقف معهم النواب العرب في المجلس وطالبوا بمحاكمة (حقي باشا) أمام الباب العالي . وتقدم اثنان من نواب الولاية هما: (محمود ناجي، وصادق بك) بتقرير إلى المجلس شرحا فيه واقع الولاية حين داهمها الغزو الإيطالي، وقصور حكومة (حقي باشا) في تهيئتها للوقوف في وجه الخطر قصوراً يوجي بالتأمر . ويكشف التقرير في مجمله عن المطالب الشعبية التي برزت في التحرك الشعبي وعجز السياسة العثمانية في البلاد طوال تلك الحقبة التي سبقت الغزو . ونورد النص الكامل للتقرير باعتباره وثيقة تاريخية توجز سياسة وأعمال الدولة العثمانية في طرابلس الغرب ومسئولياتها في التفريط بتلك الولاية ، يقول التقرير (56) :

"أيها السادة: إن طرابلس الغرب قد أمست بصولة أعداء العدل والإنسانية عرضة للانفصال عن وطننا الطاهر، وإذا فقدنا طرابلس الغرب يفقد بها وطننا العزيز المقدس ربع أراضيه، وتفقد السلطة العثمانية ما بقي لها من السلطان في أفريقيا، وأخيراً تفقد الخلافة الإسلامية ارتباطها المحسوس بتسعين مليوناً من المسلمين في القارة الأفريقية.

الولاية ولم يشرع في ذلك إلا بعد أربعة أشهر ، وكان التنفيذ على نحو غير سليم ولم يتم تجنيد سوى ثلاثة آلاف من بين ستة عشر ألفاً .

ثالثاً : سحب أكثر من أربعين ألف بندقية من نوع (مارتيني - وشنايدر) مقررة للجنود الاحتياطيين بحجة استبدالها ببنادق جديدة ، وهذا الاستبدال لم يتم ، كما لم ترسل أية ذخيرة أو مدفع ، ولم يجر ترميم الحصون القائمة .

رابعاً : لقد كان هناك علم بقرب وقوع غزو إيطالي، ولم يكن العلم بذلك قاصراً على السلطة التنفيذية بل حتى الصغار كانوا على علم بقرب وقوعه، فكان من الواجب إرسال ضباط إلى طرابلس الغرب لهم معرفة طبيعتها ، ولكن الذي حدث كان عكس ذلك تماماً إذ سحب الضباط الذين كانوا موجودين فيها. (58)

خامساً : إن أهل طرابلس الغرب الذين قاموا في وجه العدو مدافعين عن ولايتهم التي فقدت أسباب الدفاع منذ أربعة أعوام تقريباً قد ابتلوا بغلاء وجدب، وقد أوضحنا كل ذلك من سنتين شفاهة وبالتقارير، وقد علمت وزارة حقي باشا بكل هذا ولكنها لم تحرك ساكناً، مما جعل أهلها يهاجرون إلى تونس والبلاد الأخرى من شدة الفاقة ، بل أن الستمائة ألف (600) كيلة شعير التي قررت الحكومة توزيعها على الأهالي لم ترسلها حتى إعلان الحرب . وهكذا جردت الولاية من القوة النظامية وترك أهلها مهملين، فباتوا في حال لا تمكنهم من المدافعة ، بل تركوا للجوع ولإيطاليا ليفتك بهم.

سادساً : عينت وزارة (حقي باشا) في الوظائف بعض المقربين في طرابلس بدلاً من أن تعين ذوي المقدرة والكفاءة من الذين يعرفون لهجة أهل الولاية ليستطيعوا تولي المهام وإدارة الشؤون فيها، كما كان أولى بها أن تعين أشرف أهل الولاية من ذوي النفوذ المحلي في بعض الوظائف بشكل استثنائي.

سابعاً : إن أهمية ولاية طرابلس الغرب لا تحتاج إلى تعريف، فكان من الواجب ألا تترك من دون والٍ أو قائد . وقد عزلت وزارة (حقي باشا) الوالي (إبراهيم أدهم باشا) بناء على طلب إيطاليا ، لأنه وقف في طريق أطماعها واستدعي إلى اسطنبول، مما جعل الأهالي يظنون أن الحكومة كفت يدها عن إدارة الولاية وأن الدولة تريد بيعها لإيطاليا . هذا وقبيل مجيء قوات الغزو الإيطالي استدعت الحكومة إلى اسطنبول البكباشي (وحيد بك) الذي كان يعول عليه في الدفاع عن مدينة طرابلس عند هجوم الأسطول الإيطالي عليها، ولم ترسل بدلاً منه ، فقدت المدينة بذلك أسباب الدفاع تماماً .

ثامناً : معروف لدينا ولدى الحكومة منذ سنين كثيرة أن إيطاليا لم تخف ما تضره، وهو الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب ، وكانت إيطاليا تجاهر بذلك لكل الشعوب بما في ذلك الشعب العثماني ، فكان من الواجب على (حقي باشا) قبل أي شخص آخر أن يعرف حقيقة الأمر وهو في السفارة العثمانية بروما وأن يعرف أهمية هذه المسألة أكثر مما يعرفها غيره . وكذلك لم يهتم بإذارات مجلس النواب ولا بما شهده واطلع عليه ولا ببلاغات خلفه في السفارة في روما ولا بكتابات قائمقام الولاية العديدة. (59)

تاسعاً : ظلت الوزارة حتى إعلان الحرب من إيطاليا على ليبيا لا تحرك ساكناً ولا تصدر أوامر، بل أن المال الكافي الذي يتوقف عليه الدفاع لم يكن قد وصل، فجعل ذلك الدفاع مستحيلًا مع أنه كان ممكناً ، فهذا كله سهل لإيطاليا الاستيلاء على الولاية .

وعلى هذا النحو من الإهمال سار (حقي باشا) فترك ولاية طرابلس الغرب وبرقة لقمة سائغة للإيطاليين لا جند فيها ولا سلاح، ولا ذخيرة، ولا ضباط، ولا والي، ولا قائد، ولا مؤونة، ولا مال. وعلى هذا النحو سلمت تلك القطعة المباركة التي لم يبق لنا غيرها في القارة الأفريقية ، وليس في تاريخ الأمم مثال للإهمال والتفريط والتجرد من حب الوطن أعظم من هذا المثال .

وبناءً على ذلك نتقدم نحن مبعوثي طرابلس (60) باسم الشعب الذي نثوب عنه ونعبر عن رغباته باتهام (حقي باشا) وزملائه أمام الأمة كلها، فإنهم هم الذين جروا على العثمانيين هذه السبة المؤلمة والكارثة الكبرى.

إن وزارة (حقي باشا) بهذه الغفلة التي ظهرت منها في الشؤون الداخلية والخارجية والمالية والحربية قد أخلت بالمادة الأولى من القانون الأساسي العثماني الذي هو أساس بناء الدولة والدستور. ولا يسعنا إلا أن نرفع الصوت عالياً بدعوة مجلس المبعوثان إلى القيام بواجبه وأداء وظيفته ، وقد بادرنّا نحن مبعوثا طرابلس إلى استعمال حقنا الذي تخوله لنا المادة 31 من القانون الأساسي ، وإذا وقفنا إلى إنقاذ الوطن من إهمال مهلك يهدد استقلاله ، وإذا نجحنا في تقرير مبدأ المسؤولية ومعاقبة المقصرين ، فقد قمنا بما يجب علينا وأدبنا حقوق وطننا". (61)

كما انعكست المقاومة الشعبية إزاء تزايد الخطر الإيطالي في قيام الأهالي بمظاهرات الاحتجاج البرقي للسلطان العثماني وأيضاً في العديد من المقالات الصحفية الحادة للهجة التي أشرنا إليها سابقاً والناقدة لسياسة المهادنة العثمانية

تحرير الصحف الأوروبية ، وشكلت لجنة خاصة لتطبيق هذه القرارات (64)

وفي سبتمبر 1911م قام عدد كبير من أهالي طرابلس الغرب وأعيانها بإرسال برقية إلى الحكومة العثمانية يعلنون فيها عن عزمهم على الدفاع عن بلدهم إلى آخر قطرة من دمائهم، ويطالبون بتحسين البلاد والوقوف في وجه السياسة الاستعمارية ، وقد جاء فيها (65): " إن أهالي طرابلس الغرب الذين يتباهون بارتباطهم بمقام الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية منذ عصور، قد عقدوا عزمهم على مقاومة كل من يحول بينهم وبين هذا الارتباط المتين الذي هو أعظم قيمة من حياتهم ، وأنهم لا ينتنون عن الدفاع في هذا السبيل ولو انتنت عنه الحكومة العثمانية نفسها . ونحن ننبه الوزارة الحاضرة إلى وجوب تحسين البلاد من الوجهتين البحرية والحربية اللتين أهملت العناية بهما إلى الآن . ونلفت نظرها إلى موافاة البلاد بالذخائر والمؤن التي تكفيها مدة عام على الأقل . وقد كان في عزم شعنا الطرابلسي المعروف بتدينه ونزعه القومي أن يعلن على الإيطاليين حرباً اقتصادية، فيقاطع تجارتهم، ولكنهم رجحوا جانب الصبر والتريث في الوقت الحاضر، حتى لا يشوشوا على الحكومة أمرها ، وعلى رجال السياسة مداواتهم ومذكراتهم . وعلى كل حال فإن رجالنا وأولادنا قد عاهدوا الله والشرف والذمة على أن يريقوا بكل سرور آخر نقطة من دمائهم قبل أن يدنس تراب وطنهم أقدام السلطة الأجنبية "

وتكشف هذه البرقية عن شعور الأهالي القوي بالخطر الإيطالي وتصميمهم على محاربتهم ، وعن إحساسهم بقصور الحكومة العثمانية . وتؤكد أيضاً على أن ارتباط الأهالي بالدولة العثمانية كان تعبيراً عن الاتجاه الذي ساد في المنطقة باختيار أهون الشديدين للوقوف في وجه الخطر الغربي . غير أن كل هذه المحاولات الصادقة ذهبت أمام تيار الإهمال المستشري في النظام الإداري العثماني .

وفي الختام فقد استطاعت الحركة الوطنية التي شهدتها ليبيا قبيل الغزو الإيطالي من فضح المخطط الإيطالي الهادف إلى السيطرة على ليبيا وتحريض الولاة العثمانيين على الوقوف في وجه الأطماع الإيطالية مما دفع بالحكومة الإيطالية إلى إعلان عن فشل سياسة التغلغل السلمي في ليبيا وتوجيه الإنذار الإيطالي إلى الحكومة العثمانية . ونورد تصريح وزير الخارجية الإيطالي (دي سان جوليانو Di San Giulian) الذي تولى رئاسة

للعُدوان الإيطالي المرتقب . وقد نشط السكان في سياسة اللوم للسلطات العثمانية كما تعكسه وثيقة وطنية موقعة من قبل مائتين وعشرين مواطناً ، موجهة للوالي العثماني، تدين الأنباء المنتشرة في ولاية طرابلس الغرب عن تزايد الامتيازات الاقتصادية الإيطالية في البلاد ، ومما تكتبه الصحافة الأجنبية بأن امتياز إنشاء ميناء طرابلس الغرب ، وتمديد السكك الحديدية في الدواخل، قد منحت لشركة إيطالية ، وأن هذا الخبر أيد صحته سفير الدولة العثمانية في روما . وبما أن الإيطاليين الذين يظنون أنه لا نصير لنا نواياهم تجاه هذه الولاية معلومة ، فإن منح مثل هذه المشاريع الهامة للشركات الإيطالية يسبب لنا في المستقبل كثيراً من المشاكل وبالتالي تسبب أضراراً اقتصادية للتجار وأصحاب رؤوس الأموال من المواطنين . فإننا باسم الصالح المحلي نرجو تأسيس شركات أهلية بالرأس المال المحلي لتنفيذ المشاريع الهامة المفيدة (62) . وبالتالي تسد الطريق أمام هيمنة رأس المال الإيطالي . وإذا تطلب الأمر الاعتماد على رأس المال الأجنبي، فلا يكون ذلك من بنك دي روما الذي يقدم قروضاً لفقراء الفلاحين بشروط دنيئة خبيثة، لكي يستولي على مزارعهم ولا من البنوك الإيطالية الأخرى التي تنتهج نفس الغرض في التوسع في بلادنا، ولا من الدول العظمى التي لها اتجاه استعماري ، بل من رؤوس أموال الدول الصغرى خاصة، وأن في ولايتنا الكثير من المعادن التي يمكن أن نقايط بها من أجل تنفيذ المشاريع في الولاية وبأيد عثمانية صرفة (63)

وفي أواخر عام 1910م انعقد في الخمس اجتماع حضره مندوبون عن طرابلس الغرب ومناطق مصراتة وسرت والخمس وزليطن ، بالإضافة إلى مسلاتة. وقد اتخذ المجتمعون قراراً بقطع أي علاقة مع بنك دي روما وحظر بيع الأراضي للبنك وأخذ القروض منه ومقاطعة خطوط البواخر التابعة له ومطالبة السلطات العثمانية بأن توقف شحن بريدها على البواخر الإيطالية . وطالب المشاركون في الاجتماع بمقاطعة المدارس الإيطالية العاملة في طرابلس والخمس . كما تم التوصل في الاجتماع إلى اتفاق حول التجنيد الفوري للطرابلسيين وتوزيع السلاح على السكان بهدف الدفاع عن البلاد .

وقد قدمت قرارات الاجتماع إلى المتصرف العثماني في الخمس وأرسلت نسخ منها إلى دوائر

فقدت إيطاليا الصبر، وقررت أن تخرج من حالة التسامح والتساهل التي قد توصمها بالضعف، والاعتراف بأن مركزها أدنى من غيرها، الأمر الذي جعلها تقرر الحصول على احترام مصالحها بكل قوة، وإن الذنب في ذلك يقع على أولئك الذين منذ ثلاث سنوات يقومون باستنزافنا يومياً، ويخلقون عن طريق حوادث صغيرة وكبيرة جوا من العداوة لنا في جميع ولايات الإمبراطورية العثمانية وخاصة بطرابلس الأمر الذي جعل سلامة الرعايا الإيطاليين غير آمنة".

ويبدو من خلال خطاب (دي سان جوليانو Di San Giulian) أن إيطاليا وقد فشلت في تغلبها السلمي داخل ليبيا، وأنها بدأت تبحث عن مبررات وحجج لتكون ذريعة لتدخلها العسكري تقدمها للرأي العام العالمي، فوجدت في تشدد بعض المواطنين خير مبرر تقدمه في إنذارها للإمبراطورية العثمانية المتداعية، والذي ادعت فيه إيطاليا أن حالة الفوضى والخطورة التي يتعرض لها الإيطاليون من قبل الضباط وأجهزة السلطة، لا تقع على الإيطاليين فحسب بل، على الأجانب من جميع الجنسيات، وهنا تطرح إيطاليا نفسها وكيلة على أجناس العالم التي تعيش في ليبيا لحمايتهم فجاء في الإنذار:

"إن الحكومة الإيطالية ترى نفسها والحالة هذه مجبرة على التفكير في حماية كرامتها ومصالحها ولذا قررت القيام باحتلال طرابلس وبرقة عسكرياً". (67)

الوزارة الإيطالية بدلاً من توماس نيتوني(1909-1911م) كدليل على فشل هذه السياسة وجاء التقرير كالتالي: (66)

"إن هدف السلطات التركية في البلاد هو إثارة حرب ضد المصالح الاقتصادية والتجارية الإيطالية، والحيلولة دون توسيع النفوذ الإيطالي، ومنع قيام علاقات ما بين المواطنين وبنك دي روما، ومعاقبة المواطنين باتهامهم بجرائم خيالية إذا أقاموا هذه العلاقات، ومنع البنك من الحصول على الاعتراف القانوني أمام المحاكم المحلية .

"وقد رفضت جميع طلبات الامتياز والأعمال التي قدمها الإيطاليون مثل: شبكات المياه، والمنشآت البرقية واللاسلكية، وأعمال الطرق وغيرها، ومخالفة الاتفاقيات بمنع الرعايا الإيطاليين من شراء الأراضي وتسجيلها بأسمائهم في دوائر التسجيل العقاري في بنغازي ودرنة والخمس، ويتعرض المواطنون الراغبون في بيع أراضيهم للإيطاليين للتهديد، ويقعون تحت طائلة الانتقام بأعذار بعيدة عن السبب الحقيقي .

"إن الحكومة الإيطالية تحلت بالصبر والتسامح مما لن يتكرر مثله في تاريخ الشعوب رغبة في عدم خلق صعوبات وإحراج للإمبراطورية العثمانية ولأوروبا... بيد أن الكيل قد طفح، ولم تعد لإيطاليا ثقة في حل مشاكلها بصورة ودية مع تركيا.

وقد خيبت أمالها الكلمات الجوفاء الكثيرة، والوعود الكاذبة التي لها في السنوات الأخيرة، لقد

الهوامش

- 8- المرجع نفسه ، ص 40 ص 41 .
- 9- المرجع نفسه ، ص 41 ص 42 .
- 10- أحمد صدقي الدجاني ، تاريخ ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق ، ص 355 .
- 11- عبد الموالى صالح الحرير، المرجع السابق، ص 43.
- 12- المرجع نفسه ، ص 44
- 13- المرجع نفسه ، ص 44 .
- 14- المرجع نفسه ، ص 44 .
- 15- وصل المشير (علي رضا باشا) إلى ولاية طرابلس الغرب صيف 1866م ليتولى مهام حكم الولاية وقيادة الجيش كما تولى منصب الوالي مرة ثانية في عام (1872-1874م) واهتم الوالي بتحسين الخدمات البريدية ومد أول خط تلغرافي بين طرابلس والخمس ، وأنشأ سوقاً أطلق عليها اسم العزيرية ، تخليداً للسلطان عبدالعزيز وأقام حديقة صغيرة عامة بمدينة طرابلس ، كما أنشأ برج الساعة وأصلح مسجد القلعة . للمزيد انظر

- 1- عبد الموالى صالح الحرير، التمهيد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه ، ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1984م، ص 37 .
- 2- المرجع نفسه ، ص 37 .
- 3- أحمد صدقي الدجاني، تاريخ ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1961م، ص 349.
- 4- المرجع ، ص 360 .
- 5- عبد الموالى صالح الحرير، المرجع السابق، ص 39.
- 6- أحمد صدقي الدجاني ، بدايات اليقظة والنضال الشعبي في ليبيا (1882 - 1911م) ، وقائع محاكمة أول تنظيم سياسي في ليبيا ، بيروت ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، 1977م ، ص 84 .
- 7- عبد الموالى صالح الحرير، المرجع السابق، ص 40.

- منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الثاني، 1981م، ص 18 .
- 29- الطاهر أحمد الزاوي، ولاية طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 20 .
- 30- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 418 .
- 31- أحمد صدقي الدجاني، تاريخ ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 190 .
- 32- الطاهر أحمد الزاوي، ولاية طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 20 .
- 33- بدون مؤلف، تاريخ القوات المسلحة التركية والحرب العثمانية الإيطالية (1911 - 1912م)، ترجمة: محمد الأسطى وآخرون طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1986م، ص 143 .
- 34- أول صحيفة شعبية سياسية صدرت بمدينة طرابلس الغرب في 26 يونيو 1897م، ورئيس تحريرها هو الشيخ محمد البوصيري، وتصدر في صباح السبت من كل أسبوع. وقد استمرت الصحيفة احدى عشرة عاماً في مرحلتها الأولى ثم توقفت عن الصدور حتى عام 1908م فخرجت من جديد واستمرت حتى وقوع الغزو واكتسبت في مرحلتها الثانية أهمية كبيرة وساهم في تحريرها مجموعة من الشباب المثقف وكانت تطبع في مطبعة الولاية بمدرسة الفنون والصنائع تم طبعت بعد ذلك في مطبعة الصحيفة (مطبعة الترقى بسوق الترك) وأصبحت أيضاً ناطقة باسم (الاتحاد والترقي وركزت مقالاتها على الإصلاح وكانت توزع الف نسخة وهو دليل على شعبية الصحيفة ونجاحها. للمزيد انظر: علي مصطفى المصراطي، صحافة ليبيا في نصف قرن، بيروت، مطابع الكشاف، 1960م .
- 35- إسماعيل مولود القروي، الغزو الثقافي الإيطالي لليبيا، طرابلس، جامعة الفاتح، رسالة ماجستير غير منشورة، 1984م، ص 92 .
- 36- المرجع نفسه، ص 93 .
- 37- المرجع نفسه، ص 93 .
- 38- المرجع نفسه، ص 95 .
- 39- المرجع نفسه، ص 98 .
- 40- أسست صحيفة أبو قشة 1908م وصاحبها هو الهاشمي أبو قشة التونسي وقد جاء إلى طرابلس من تونس بعد أن اضطهده السلطات الفرنسية وأغلقت جريدته التي أصدرها هناك وكان قد درس العلم في جامع الزيتونة ومال إلى الكتابة الهزلية، وكانت تصدر أسبوعياً وتصدر في أربع صفحات وتكتب باللهجة العامية في طرابلس وفي بعض الأحيان باللهجة التونسية.
- 41- علي مصطفى المصراطي، صحافة ليبيا في نصف قرن، ص 102 .
- كلاً من: أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ط2، ترجمة: خليفة التليسي، طرابلس - تونس، الدار العربية للكتاب، 1991م، ص 383، ومحمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 84 .
- 16- المرجع نفسه، ص 85 .
- 17- المرجع نفسه ن ص 86 .
- 18- برقية منالوالي (رجب باشا) إلى وزارة الداخلية في اسطنبول يوضح فيها موقفه من الطلب الذي قدمه القنصل الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب، دار المحفوظات التاريخية بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف وثائق التمهد للغزو، وثيقة رقم 9، ترجمة محمد الأسطى، نوفمبر 1908م .
- 19- أحمد صدقي الدجاني، تاريخ ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 163 .
- 20- تقرير الوالي (رجب باشا) إلى رئيس الوزراء العثماني في اسطنبول يوضح فيه نشاط بنك دي روما وأعماله في ولاية طرابلس الغرب، دار المحفوظات التاريخية بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف وثائق التمهد للغزو، ترجمة: محمد الأسطى، نوفمبر 1908م .
- 21- أحمد صدقي الدجاني، تاريخ ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 164 .
- 22- المرجع نفسه، ص 165 .
- 23- أتوري روسي، المرجع السابق، ص 489 .
- 24- الطاهر أحمد الزاوي، ولاية طرابلس الغرب، بيروت، دار الفتح، 1970م، ص 285 .
- 25- عقيل محمد البربار، مصرف روما ودور السلطات العثمانية في الوقوف ضد التسلل الاقتصادي الإيطالي إلى ليبيا (1907 - 1911م)، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الثاني، 1982م، ص 244 .
- المرجع السابق، ص 247 .
- 26- مصطفى حامد أرحومة، المقاومة الليبية والتركية ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م، ص 73 .
- 27- كان (جياكومو دي مارتينو) يرى من وراء ملاحظته الرابعة والأخيرة إلى إبراز الوضع الخطير الذي تتخبط فيه الحكومة بالنسبة للمسألة الطرابلسية، فهو يرى أن الحل الوحيد هو تحطيم التردد والانتقال إلى العمل - أي الغزو - وفي الواقع كانت هذه هي فكرة جميع أولئك الذين كانوا يأملون من الحكومة أن تقوم بعمل أكثر حزمًا بالنسبة للقضية الليبية .
- 28- عماد الدين غانم، مشروعات الاستيطان الأوروبية في ليبيا حتى سنة 1900م، مجلة الشهيد، طرابلس،

جزيرة كيو اليونانيين الذين قاطعوا أتباع الكنيسة الكاثوليكية وبخاصة الإيطاليين فلم يبيعوهم أي شيء حتى الخبز وهجرت المربيات والمرضعات الأطفال الكاثوليك واستطاع الكاثوليك بصعوبة دفن أمواتهم لأنهم لم يكونوا يمارسون صنع وبيع التوابيت ، وأرغموا في نهاية الأمر على مغادرة الجزيرة إلى أزمير ، فبالمقاطعة وحسن تطبيقها استطاع اليونانيون أن يكسبوا قضيتهم . فلماذا إذن لا نتصرف على النحو الذي تصرف به سكان جزيرة كيو ، فلنعمل ما عجزت الحكومة عن عمله للمزيد انظر: الوثائق الأمريكية ، المجموعة الأولى ، ترجمة : شمس الدين عرابي بن عمران ، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1989م ، ص 46 ص 47 .

48- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 96 .

49- المرجع نفسه ، ص 98 .

50- تدخل القناصل الإيطاليون كثيراً في شؤون الولاية من أجل مناصرة الجالية الإيطالية والمؤسسات الإيطالية في الولاية، ومن هذه التدخلات وشاية القنصل الإيطالي حول نشاط الجمعية الخيرية السرية وتحريض الوالي بالقبض على أفرادها وسجنهم.

51- (جوزمان) : صحفي برازيلي صاحب جريدة التقدم المدافعة عن مصالح الجالية اليونانية ، طرد من البلاد بسبب فضحه للسياسة الإيطالية ، وتم إبعاده في سبتمبر 1910م ، وبعد تولي إبراهيم أدهم منصب الوالي سمح له بالعودة إلى الولاية مما أدى إلى احتجاج الإيطاليين على الوالي إبراهيم باشا .

52- عمرو بغني ، مختارات من محفوظات شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، مجلة الوثائق والمخطوطات ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م ، ص 239 .

53- إسماعيل مولود القروي ، المرجع السابق ، ص 100 .

54- كان أول اجتماع لمجلس المبعوثان في اسطنبول عام 1876م ، وقد شهدت قاعة المجلس عضوين من ليبيا كانا يمثلان ولاية طرابلس الغرب في ذلك المجلس أحدهما معمم والآخر مطربش وهما السيد مصطفى أغا الحمداني والسيد سليمان القبطان ، ويعتبران أول من مثل ليبيا في المجلس النيابي بالعاصمة العثمانية، وسافر العضوان من طرابلس الغرب إلى الأستانة في 18 مارس 1876م . وكان الراتب الشهري لكل نائب خمسين جنيهاً من عملة الذهب العثماني . وقد كان من بين الشخصيات التي تولت تمثيل ليبيا في مجلس المبعوثان في الفترة التي سبقت الغزو الإيطالي: محمود ناجي باشا وصادق بك بن الحاج ويوسف بن شتوات

42- جريدة أسبوعية أدبية فكاوية صدر العدد الأول منها في نوفمبر 1910م ومؤسس هذه الصحيفة الشيخ أحمد الفساطوي الذي مارس الكتابة في صحيفة الترقى والعصر الجديد وكانت تطبع بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع واهتمت الصحيفة بالقضايا السياسية وهاجمت الاستعمار وفضحت أساليبه للمزيد انظر : علي مصطفى المصراطي ، صحافة ليبيا في نصف قرن ، المرجع السابق .

43- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 92 .

44- المرجع نفسه ، ص 94 .

45- دار الخلافة هي صحيفة عربية صدرت في اسطنبول بعد الدستور 1908م ، وهي صحيفة سياسية علمية أدبية وتصدر أسبوعياً ، وكان رئيس تحريرها عبد الوهاب عبد الصمد ليبي الجنسية ودرس الطب بالكلية الطبية باسطنبول واشتغل بالسياسة ، وسجن مع شبان حزب الاتحاد والترقي في عهد السلطان عبد الحميد ، وأسهم في تحرير الصحيفة سليمان الباروني وفرحات الزاوي وعلي عياد من طرابلس والسيد المكي بن عزوز وهو عالم تونسي كان يقيم باسطنبول .

46- خليفة الدويبي ، ليبيا في بعض الصحف العثمانية ، مجلة الوثائق والمخطوطات ، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1987م ، ص 166 .

47- شاركت صحيفة (طنين) العثمانية في الحملة الإعلامية ضد إيطاليا ، فقامت بتنظيم حملة لمقاطعة الإيطاليين إرضاءً لمشاعر جميع العثمانيين ، وقد ذكرت الصحيفة أن عملية المقاطعة تعتبر حركة وطنية وقومية في حاجة إلى التأييد والتشجيع، وطالما ظلت حكومة سعيد باشا على غير استعداد لطرد الرعايا الإيطاليين بالجملة فإن على الأمة العثمانية أن تعمل على جعل حياة رعايا إيطاليا في الدولة العثمانية جيماً لا يطاق . إنه لمن السهل على العثمانيين قطع جميع العلاقات مع أولئك الذين يرتكبون في القرن العشرين أشنع أعمال القرصنة ، فينبغي ألا يشتري هذا البلد أي شيء كان من الإيطاليين وألا يبيعهم أي شيء مهما كان ومن أي صنف أو نوع ، وهكذا سيضطرون إلى تركه والهجرة منه ، بل ويجب توجيه الدعوة لجميع نوادي وأوساط الاتحاد والترقي ولكافة الجهات والهيئات المعارضة وغيرها من المؤسسات لكي تسعى بشكل مؤثر لدى أعضائها لحملهم على تطبيق المقاطعة كما ينبغي وتوجيه النداء لكي يعملوا على حث جماهير الناخبين على مقاطعة الإيطاليين ويتحتم على الصحافة العثمانية عامة وصحافة الأقاليم والولايات خاصة اقتفاء أثر صحيفة طنين فيما تقوم به الآن من حملة في هذا الصدد . ونادت بأن تكون المقاطعة جدية وعامة وشاملة وصادقة مخلصه ، لكي يُضمن لها النجاح المرغوب . وطالبت باقتفاء أثر سكان

66- فرانثسكو مالجييري ، الحرب الليبية (1911 - 1912م) ، ترجمة : وهبي البوري ، طرابلس - تونس ،
الدار العربية للكتاب، 1980م ، ص30
67- إسماعيل مولود القروي ، المرجع السابق ،
ص315

ومختار كعبار وسليمان باشا الباروني وعمر منصور
باشا ومصطفى بك بن قدارة و عبد القادر جامي وفرحات
الزواي . للمزيد راجع: علي مصطفى المصراطي،
الصلات بين ليبيا وتركيا التاريخية والاجتماعية ، اللجنة
العليا لرعاية الفنون والادب ، (ب- ت) ، ص148 ص
149

55- انظر التقرير الذي تقدم به نائبا طرابلس الغرب في
مجلس المبعوثان (ناجي بك وصادق بك) بشأن اتهام
حقي باشا في إهمال ولاية طرابلس الغرب وإلقاء اللوم
عليه ، الوثائق الأمريكية ، المجموعة الأولى ، طرابلس
، منشورات ، مركز الجهاد ، 1989م ص46ص50،
وأحمد صدقي الدجاني، تاريخ ليبيا قبيل الاحتلال
الإيطالي، المرجع السابق، ص 441 .

56- احمد صدقي الدجاني ، المرجع نفسه ، ص 442 .

57- المرجع نفسه ، ص 444 .

58- التقرير الذي تقدم به نائبا طرابلس الغرب في
مجلس المبعوثان (ناجي بك وصادق بك) بشأن اتهام
حقي باشا في إهمال ولاية طرابلس الغرب وإلقاء اللوم
عليه ، الوثائق الأمريكية ، المجموعة الأولى ، المرجع
السابق ، ص 48 .

59- أحمد إبراهيم دياب ، الغزو الإيطالي في الصحافة
العربية ، مجلة البحوث التاريخية ، طرابلس ، منشورات
مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، العدد الأول ،
1988م ، ص 16 .

60- كتب هذا التقرير مبعوثا طرابلس الغرب في
العاصمة العثمانية ، وهما صادق بك بن الحاج ومحمود
ناجي . للمزيد انظر: الوثائق الأمريكية ، المجموعة
الأولى ، ص46ص50

61- أحمد صدقي الدجاني ، تاريخ ليبيا قبيل الاحتلال
الإيطالي ، المرجع السابق ، ص 450 .

62- رسالة من أهالي ولاية طرابلس الغرب إلى الوالي
العثماني يطالبون فيها بمقاومة التغلغل السلمي الإيطالي
في الولاية ، دار المحفوظات التاريخية بمركز جهاد
الليبيين للدراسات التاريخية ، ملف التغلغل السلمي ،
ترجمة : محمد الأسطي، ديسمبر 1910م .

63- رسالة من أهالي ولاية طرابلس الغرب إلى الوالي
العثماني يطالبون فيها بمقاومة التغلغل السلمي الإيطالي
في الولاية . المرجع نفسه .

64- ندى عمر شعبان ، المقاومة الليبية للاحتلال
الإيطالي (1911 - 1932م) ، بيروت : الجامعة
اللبنانية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، رسالة ماجستير
غير منشورة ، 1983م ، ص 13 .

65- عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في أفريقيا
الشمالية ، ترجمة عبد السلام أدهم ، بيروت : دار لبنان ،
1969م ، ص 221 .